

ترجمة: محمد عبد المومن | *Translated by: Muhammad Abd al-Mumin

وثيقة إسبانية حول تحرير أسرى من قسبة سلا سنة 1632

A Spanish Document on Redemption of Captives in Salé 1632

بعد طرد المورسكيين من إسبانيا سنة 1609، استقرت مجموعة منهم في مصبّ وادي أبي رقرق، في المدينة المسماة حاليًا الرباط، وقد تمكّن هؤلاء المطرودون من إعادة بناء المدينة ومن تأسيس دويلة مستقلة استمرت عدة سنوات. عرفت تلك الفترة انتعاش النشاط القرصاني الذي مولّه وقاده مجموعة من الأندلسيين القادمين من مدينة هورناتشوس والذين تمكّنوا من تحقيق أرباح كبيرة من خلال بيع البضائع المصادرة ومن أموال افتكاك الأسرى. تسلّط هذه الوثيقة، التي نقلناها من اللغة الإسبانية، الضوء على النشاط القرصاني، وعلى مسألة تحرير الأسرى التي كانت مهمة برع فيها الرهبان الثالوثيون، كما تسلط الضوء على ضحايا النشاط القرصاني.

كلمات مفتاحية: المورسكيون، الجهاد البحري، القرصنة، جمهورية أبي رقرق، الرهبان الثالوثيون

Following the expulsion of the Moriscos from Spain in 1609, a group of them settled at the mouth of the Bou Regreg river in the city now called Rabat. These exiles were able to rebuild the city and found a statelet that endured for some years. This period witnessed a revival in piracy, which was funded and led by a group of Andalusians from the city of Hornachos that were able to make large profits by selling stolen goods and ransoming prisoners. This document, translated from Spanish, sheds light on piracy and the issue of freeing captives, an undertaking by monks of the Trinitarian Order, and the victims of piracy.

Keywords: Moriscos, War at Sea, Piracy, Bou Regreg, the Trinitarian Order.

* باحث مغربي وأستاذ التعليم الثانوي التأهيلي.

Moroccan Researcher and Teacher in Secondary and Vocational Education.



مقدمة⁽¹⁾

بعد ترحيلهم من شبه الأراخي القشتالية تنفيذاً لقرار الطرد القسري الصادر ضد مورسكيي⁽²⁾ قشتالة، وفد على بلدان شمال أفريقيا هؤلاء المهجّرون، فاستقر بعضهم في البوادي، وفضلت أغلبيتهم الاستقرار في المدن، خصوصاً الساحلية منها. وبالنسبة إلى المغرب فقد استقرت جماعات مورسكية كثيرة العدد في تطوان وفاس وسلا ومدن أخرى.

ويعتبر استقرار المورسكيين في مصبّ أبي رقراق⁽³⁾ عاملاً أساسياً في انطلاق النشاط القرصاني⁽⁴⁾ وازدهاره، إلى أن صارت لقرصنة سلا سمعة عالمية، إضافةً، بطبيعة الحال، إلى عوامل أخرى من بينها:

- 1 المقصود بسلا في الوثيقة مدينة الرباط الحالية وقد كانت آنذاك مقسمة إلى قسمين: القصبية التي سكنها اليهود الناشيون والمدينة التي سكنتها عناصر مورسكية مختلفة. أما القصبية فتوجد على الضفة الجنوبية لمصبّ أبي رقراق، وتشكل جزءاً من مدينة الرباط، وتسمى حالياً قصبية الوداية.
- 2 المورسكيون هم الأندلسيون الذين فرض عليهم التنصر بموجب مرسوم التصيير الإبراهيمي الصادر سنة 1502.
- 3 أبو رقراق نهر مغربي يصبّ في المحيط الأطلسي، وبمصبه مدينتان هما سلا في الضفة الشمالية، والرباط في الضفة الجنوبية.
- 4 يفضل بعض الباحثين أن يسموا هذا النشاط بـ "الجهاد البحري" بدلاً من القرصنة.

❖ غياب سلطة مركزية قوية.

❖ تحوّل الطرق التجارية من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي مع ما صاحب ذلك من زيادة في حركة السفن التجارية.

❖ الموقع الجغرافي لمصّب أبي رقراق وخصائصه الهيدرولوجية.

❖ استيلاء الإسبان على المعمورة⁽⁵⁾ سنة 1614، وانتقال القرصنة الأوربيين المحترفين إلى الرباط حيث وجدوا المورسكيين على استعداد للتعاون معهم.

❖ رغبة المورسكيين المطرودين في الانتقام من إسبانيا، وتوفّرهم على ثروات مالية مهمة مكنتهم من تمويل العمليات القرصانية، خصوصًا في مراحلها الأولى.

لقد بدأت الغارات القرصانية سنة 1616 بقيادة رياس هورناشيين⁽⁶⁾ تصل إلى السواحل الإسبانية. وفي سنة 1627⁽⁷⁾، وهي السنة التي ثار فيها المورسكيون وأسسوا دويلة مستقلة، ازداد نشاط السفن القرصانية كثافة وشدة، وقد واكب هذه التحولات زيادة في عدد السفن التي وصلت سنة 1629 إلى 60 سفينة بحسب تقديرات الأدميرال الفرنسي إسحاق دزرائيلي⁽⁸⁾. غير أن نشاط قرصنة أبي رقراق وحجم أسطولهم كان يعرف مدًا وجزرًا بحسب الظروف المرتبطة أساسًا بالأزمات السياسية التي كانت تعرفها المنطقة، والمتمثلة تحديدًا في الحروب الأهلية بين العناصر المورسكية المتصارعة من جهة وباقي القوى المحلية من جهة أخرى، وكان هذا الصراع يؤدي إلى توقف النشاط القرصاني نظرًا إلى انشغال الممولين ومجهزي السفن والرؤساء والملاحين بالمشكلات السياسية والصراعات. عمومًا، فإن النتيجة التي ترتبت على حركة القرصنة هي اغتناء بعض سكان الرباط؛ لما أدّرت عليهم من ثروات، وقد جاءت هذه المداخل من البضائع المصادرة ومن أموال افتكاك الأسرى.

وفي هذا الإطار، لا بد من التذكير بدور الرهبانية الثالوثية⁽⁹⁾ التي تأسست سنة 1194 على يد الفرنسي جون دي ماثا⁽¹⁰⁾؛ إذ عمل الآباء الثالوثيون على جمع الأموال وبذل الجهود في سبيل افتكاك المسيحيين الذين وقعوا في الأسر والرق. ونجد في الوثيقة اسم الراهب سبستيان دي لا مادري دي ديوس⁽¹¹⁾ الذي اتصل بمجلس الديوان وفاوضه في شروط افتكاك الأسرى، كما اتصل بمجموعة من الأشخاص وفاوضهم في مبلغ الفدية ورافق المحررين إلى إشبيلية أو ودّعهم فيها.

عنوان الوثيقة ومصدرها

اسم الوثيقة باللغة الإسبانية هو Redención de Cautivos en Salé año 1632. وتوجد ضمن محافظة تضم العديد من الوثائق المتعلقة بتحرير الأسرى وخصوصًا من المغرب، وهي محفوظة في الأرشيف الوطني التاريخي Archivo Historico Nacional بمديرية. أما مصدر الوثيقة فهو:

5 اسمها الحالي مهدية وهي مدينة مغربية توجد على مصب وادي سبو.

6 الهورناشيون هم مورسكيون طردوا من بلدة هورناتشوس بإقليم إشتريما دورا واستقروا في قسبة الوداية.

7 Brahim Boutaleb et al., *Histoire du Maroc* (Paris: Hatier, 1967), p. 231.

8 جيروم وايسر، "المغرب وقرصنته: المغاربة في القرن 17"، *مجلة البحث العلمي*، العددان 29-30 (1979)، ص 24.

9 رهبانية كاثوليكية أسسها جون دي ماثا، كان الهدف من تأسيسها العمل على افتكاك الأسرى المسيحيين.

10 راهب فرنسي ولد سنة 1160 وتوفي سنة 1213، أسس مع فليكس دي فالوا الرهبانية الثالوثية.

11 راهب نالوي جاء إلى سلا الجديدة (الرباط حاليًا) سنة 1632 بهدف افتكاك الأسرى المسيحيين، وهو طرف رئيس في هذا العقد.

A.H.N. Códices, Legajo 128, Libro del Consejo Real de Justicia de la Rendecion de Cautivos en Tetuan y Alcazaba de Salé, "Rendecion de Cautivos en Salé año 1632."

لغة الوثيقة

كُتبت هذه الوثيقة بلغة قشتالية قديمة يسميها الباحثون قشتالية العصر الذهبي⁽¹²⁾، وهي تختلف قليلاً عن القشتالية المعاصرة؛ لوجود بعض الكلمات والتراكيب اللغوية التي لم تعد مستعملة، إضافةً إلى اختلاف في كيفية كتابة بعض الحروف كحرف s الذي يكتب بهذا الشكل f وكذلك حرف i الذي يكتب y .

نص الوثيقة: تحرير أسرى من قسبة سلا سنة 1632

[شروط العقد]⁽¹³⁾

في قسبة سلا في 3 آب/ أغسطس 1632، اجتمع السيدان عبد الله ميسا وحامد بن ليما⁽¹⁴⁾، بموافقة من مجلس الديوان⁽¹⁵⁾، بالأب سبستيان دي لا مادري دي ديبوس، من الرهبانية الثالثة، وكان الهدف من اللقاء، فداء الأسرى المحتجزين في هذه القسبة. وفيما يلي تفاصيل ما جرى في هذا اللقاء:

- ✦ اشترط السيدان الحاكمان، أن تتم عملية تسليم السجناء في مدينة العرائش⁽¹⁶⁾، التي تسيطر عليها إسبانيا. وعندما يصل السجناء إلى العرائش، يتم تسليمهم إلى الأب سبستيان أو إلى أحد من المكلفين، مقابل تسليم مبلغ الفدية للأشخاص الذين سيكلفهم حاكمًا قسبة سلا ومجلس ديوانها.
- ✦ يجب الاتفاق على مبلغ الفدية، وأن يوافق عليه الطرفان، كما يجب أن يؤدى بالفضة.
- ✦ على الأب سبستيان وسائر المكلفين بالعملية ومن سيخلفهم في المستقبل، احترام ديانة سكان القسبة وملاك السفن، كما يجب احترام الرهبان وموظفي الملك.
- ✦ يجب ألا تتعرض السفن التي ستقل السجناء من سلا إلى العرائش لأي مضايقات من سفن الأسطول الإسباني سواء أثناء رحلة الذهاب أو رحلة الإياب.
- ✦ على الأب سبستيان أن يضمن عدم فرار السجناء أو اعتدائهم على المسلمين أثناء نقلهم من سلا إلى العرائش، لأن السجناء المسيحيين سيكونون أكثر عددًا من البحارة المسلمين، وفي حال فرار المسيحيين أو تمردهم، فعلى المكلفين بالعملية أداء المبالغ المتفق عليها، كما يجب أن يسمح للسفن بالعودة إلى سلا وهي محملة بالسلع والفضة، وألا تتعرض لأي هجوم أو مضايقة من سفن جلالة الملك.
- ✦ على الأب سبستيان والمكلفين بالعملية الحصول على موافقة جلالة الملك، ليضمن تطبيق هذه الشروط.

12 حقبة زمنية استمرت قرنين، وشهدت فيها إسبانيا استقرارًا سياسيًا ورخاءً اقتصاديًا وازدهارًا كبيرًا للفنون والآداب.

13 ما بين معقوفتين من إضافة المترجم.

14 رئيسًا لمجلس الديوان سنة 1632.

15 كان يسير المدينة خلال تلك الفترة مجلس حكم جماعي يسمّى الديوان، يرأسه حاكمان مدة ولايتهما سنة واحدة.

16 مدينة في شمال المغرب على ساحل المحيط الأطلسي عند مصب وادي اللكوس، كانت تحتلها آنذاك إسبانيا.

✻ على الأب سبستيان والمكلفين بالعملية أداء مبلغ 50 ريالاً عن كل أسير مسيحي يغادر قسبة سلا، وهذا نصف مبلغ الضريبة المفروض على كل من يغادر من ميناء سلا، وهذه المبالغ تؤدي عند مغادرة الأسرى المسيحيين المدينة.

✻ يسمح لثلاثة أو أربعة رهبان بالقدوم إلى قسبة سلا لتوفير الراحة للسجناء، من أجل الإعداد لعملية إطلاق سراحهم، كما يمكنهم اختيار مواعيد مجيئهم ومغادرتهم، ويسمح لهم أيضاً بإقامة القداس مثلما هي الحال في إسبانيا.

✻ يسمح للرهبان الفرنسيين بمباشرة الرعاية الصحية للسجناء، سواء في هذه القسبة أو في السفن والمراكب المملوكة لهم، كما يجب عدم مضايقتهم أو أسرهم أو مصادرة مراكبهم وأموالهم وأمتعتهم، ويجب أيضاً تقديم يد المساعدة لهم، والحفاظ على أمنهم وسلامتهم، وسلامة السفن التي ستقلهم.

هذه هي الشروط التي اتفق عليها الطرفان، ووقعها الحاكمان سالفاً الذكر، وأعضاء مجلس الديوان والأب سبستيان، في التاريخ المشار إليه سابقاً.

التوقيعات

عبد الله بن علي ميسا

موسى بن محمد سانتياغو

محمد بن علي مندوزا

أحمد أغواثير

محمد روخو

موسى روخاس

علي زويتان

إسماعيل غرسية

محمد قزمان

الأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس

الموثق إبراهيم ميرينو

هذه نسخة عن العقد الأصلي التي ظلت بحوزة الأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس الذي سلمت له بعدما وقعها في قسبة سلا.

[لائحة الأسرى المحررين]

استلم الأب المكلف بعملية تحرير الأسرى، سبستيان دي لا مادري دي ديوس، وبحضوري أنا المكلف بالتوثيق، دومينغو بينيرو وهو من جليقية⁽¹⁷⁾ وعمره 17 سنة، ابن أندريس بينيرو وماريا ريدوندو، والذي أسره القرصان بوكاروبا قبل خمسة أو ستة أشهر وهو يصطاد في البحر، وقد لبث كل هذه المدة أسيراً في القسبة، وكان مملوكاً لعلّي قزمان الذي استلم من الأب سبستيان مقابله ما قيمته 2000 ريال قشتالي، بعضها نقدًا وبعضها الآخر أغطية ومنسوجات، وحضرت ذلك أنا المكلف بالتوثيق.

17 إقليم إسباني يقع في أقصى الشمال الغربي، كانت سواحله وشواطئه مسرحاً لنشاطات القرصنة.

خوان دي ريبياديو من كامبادوس⁽¹⁸⁾ في جليقية، عمره ثلاثون سنة، ابن خوان غونزاليس وماريانا دي ريبياديو، والذي أُسر عند رأس فينيبوسطيرا⁽¹⁹⁾ من طرف مامي رايس، وقد بقي أسيراً في القصة في ملك أحمد روندة، الذي استلم مقابل إطلاق سراحه ما قيمته 1832 ريالاً، بعضها نقدًا وبعضها الآخر حزم صوف ومنسوجات وأغطية. وقد حضرت تحرير الأسير ووقعت العقد أنا المكلف بالتوثيق، كما وقَّعه الأب المكلف بتحرير الأسرى.

تم تحرير بيدرو بلادان وهو من جزيرة لا تثيرا⁽²⁰⁾، ابن مانويل جودين ولوسيا بلادان، والذي أسره القرصان بوكاروبا عند رأس فينيبوسطيرا وهو يصطاد. وقد لبث في الأسر نحو خمسة أشهر قضاها في القصة في ملك علي قزمان الذي استلم مقابل تحريره ما قيمته 2000 ريال قشالي، بعضها نقدًا وبعضها الآخر منسوجات وأغطية وحزم من الصوف.

تم تحرير مانويل دي إيسترادا، وهو فتى في الخامسة عشرة، أبيض الوجه، ابن فرانسيسكو دي إيسترادا وماريانا دومينغيز ديل تورو، وهو من بلدة تورو⁽²¹⁾، والذي أسره القرصان بوكاروبا، قبالة بلدة ليموس عندما كان يبحر على مركب، وقد مكث أسيراً نحو ستة أشهر قضاها في سجن قصبة سالا في ملكية رجل يدعى أيت، اتفق معه الأب سبستيان على فدية قيمتها 2461 ريالاً من الفضة، دفع منها 1232 ووعده بدفع المبلغ المتبقي في مدينة العرائش، وقد كنت شاهداً على ذلك.

تم تحرير دومينغو غونزاليس، وهو فتى في السادسة عشرة، من فليغريسيا دي بولاكو من جليقية، ابن بيدرو غونزاليس وكونستانسا دي لا غليسيا، والذي أسره القرصان علي ليغوا قبل شهرين عندما خرج لاصطياد السردين أمام شاطئ فيغو⁽²²⁾، وقد لبث هذه المدة في ملكية أحمد ألغواسيل وعلي موراليس وهما من قصبة سالا، وقد افتداه الأب سبستيان بمبلغ 2000 ريال؛ ثلثها فضة وثلثاها الأخران حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى تؤدي كلها في العرائش. وقد وقَّع العقد الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير ألبيرتو بربابو من فليغريسيا دي سانتا، ابن ألفونسو بربابو ومارية غونزاليس، عمره 40 سنة، أسره القرصان علي ليغوا قبل شهرين وهو يصطاد السردين أمام شاطئ فيغو، وقد مكث هذه المدة في قصبة سالا في ملكية أحمد ألغواسيل وعلي موراليس، واللذين اتفق معهما الأب المكلف بالعملية على فدية قيمتها 2000 ريال؛ ثلثها فضة وثلثاها الأخران حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى تؤدي كلها في العرائش. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير خوان دي سانتا مارية، وهو طفل عمره 10 سنوات من منطقة سان خوخيا في لا كورونيا⁽²³⁾، ابن خوان دي سانتا مارية ومارية دي سانتا مارية. أسره القرصان موسى قبل ثلاثة أشهر وهو يصطاد مع عمه، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سالا في ملكية ماشي عطية، الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال أخرى تؤدي كلها في العرائش. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

18 بلدة إسبانية في إقليم جليقية.

19 رأس بحري في أقصى شمال إسبانيا.

20 جزيرة صغيرة في أقصى شمال إسبانيا، وهي تابعة لإقليم جليقية.

21 قرية في إقليم جليقية.

22 مدينة إسبانية كبيرة تقع في شمال غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي.

23 مدينة كبيرة تقع في شمال إسبانيا على الساحل الأطلسي.

تم تحرير ألونسو دي رويدا من مدينة كارمونة⁽²⁴⁾، عمره 28 سنة، وهو جندي في الأسطول البحري الإسباني، ابن خوان دي رويدا ومارية سانثيز. أُسر قبل سنة ونصف في المعمورة بعد إصابته من أحد الجنود المسلمين، وقد لبث كل هذه المدة في قسبة سلا مملوكاً لدى القبطان فيجيل، وهو مسلم من سكان القسبة، والذي اتفق معه الأب المكلف على فدية قدرها 2000 ريال أخرى تؤدّى كلها في العرائش. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير غونزالو مارتين، من مدينة إستجة⁽²⁵⁾، عمره 51 سنة، وهو جندي في الكتيبة المستقرة بالمعمورة، ابن مارتين ومارية غوتيريز. أُسر قبل سنة ونصف بعد هزيمة الكتيبة المذكورة في مواجهةٍ مع عدد من المسلمين، أصيب حينها، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي مالي الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2250 ريالاً نصفها من الفضة ونصفها الآخر حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير مارية ألونسو، من بلدة ريباديو في جليقية، عمرها 24 سنة، ابنة ميرين بلانكو ومارية ألونسو. أسرها قراصنة أتراك وهي قادمة من بلدها، في مدينة سان لوكار⁽²⁶⁾، ومنذ ذلك الحين وهي أسيرة في قسبة سلا في ملكية علي مالي، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2201 ريال نصفها من الفضة ونصفها الآخر حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى، تُؤدّى كلها في العرائش. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير دومينغو مونتيس، عمره 14 سنة، من منطقة غروف في جليقية، ابن دومينغو دي مونتيس ومارية دي تورييس. أسره القرصان تورايغ الرايس التونسي قبل سنة، ومنذ ذلك الحين وهو في ملكية علي قزمان الذي اتفق معه الأب المكلف على فدية قدرها 2500 ريال تؤدّى 2150 ريالاً منها بالفضة، والباقي على شكل بضائع.

تم تحرير خوان مارتين من مدينة كرمونة، ابن غونزالو مارتين وكتالينا سانثيز، وقد لبث في السجن خمس سنوات منذ أسره قرب المعمورة بعد إصابته، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا يعاقب بالأشغال الشاقة. وقد اتفق الأب المكلف بعملية التحرير مع مالكة المدعو محمد غوارديان على فدية قدرها 2000 ريال، ثلثها فضة وثلثاها الآخران حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى، تُؤدّى كلها في العرائش. وقد وقَّعه الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير أنا فيريرا من مدينة بورتو، عمرها 34 سنة، ابنة سيمون رودريغيز ومارغاريتا. أُسرت قبل خمسة أشهر وهي مسافرة إلى لشبونة على ظهر مركب قبالة شاطئ بويرتو دي سان خوان دي لوث⁽²⁷⁾، أسرها القرصان بوكاروبا، ومنذ ذلك الحين وهي في ملك موسى أوليباريس الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 1900 ريال، ثلثها فضة وثلثاها الآخران حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى تُؤدّى كلها في العرائش.

تم تحرير خوسي بيدرو دي بلاس من مدريد، عمره 25 سنة، ابن فرانسيسكو دي بلاس ومارية بارتولومي. وهو جندي أُسر قبل خمس سنوات قبالة شاطئ المعمورة عندما قدم رفقة فرقة العسكارية لنجدة الجنود المحاصرين من المجاهدين

24 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة إشبيلية.

25 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة إشبيلية.

26 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة قادس.

27 شاطئ في أقصى جنوب غرب فرنسا على ساحل المحيط الفرنسي.

المسلمين داخل المعمورة، وقد لبث كل هذه السنوات مسجوناً في زنازين قسبة سلا في ملك القائد عبد الله غوميث الذي اتفق معه الأب المكلف بعملية التحرير على فدية قدرها 2240 ريالاً، قسم منها فضة والباقي منسوجات وأقمشة وأغطية.

تم تحرير خوان مارتينيز من مدريد، عمره 19 سنة. أسره مسلمو قسبة سلا في المعمورة وهو يؤدي واجبه العسكري، ومنذ أسره وهو في ملك علي بوشيتو، الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان لوبيث من طليبة دي لا رينا، عمره 22 سنة. أُسر منذ سنة ونصف في المعمورة وهو يؤدي واجبه العسكري، ومنذ ذلك الحين وهو في زنازين قسبة سلا في ملك علي بوشيتو، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

بيدرو أودونيز، عمره 20 سنة، من ولبلة. أسره القرصان أحمد الرايس، الذي كان مسيحياً فارتد، ومنذ أسره وهو في ملك أحمد بن ميرينديك.

إستييان دي كارمونة، من منطقة أغيلار دي لا فرونتيرا⁽²⁸⁾، عمره 20 سنة. كان أسيراً في القسبة مملوكاً لإبراهيم أوليباريس، تم تحريره مقابل 2000 ريال.

تم تحرير خوان دورادو من مدينة سانتياغو في جليقية، عمره 20 سنة، أسره القرصان أبريراتو قبل أربع سنوات وهو يصطاد في سواحل جليقية، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب المكلف بعملية التحرير على فدية قدرها 2000 ريال.

سيمون ليوناردو من مدينة لشبونة، عمره 36 سنة. أسره القرصان موسى الرايس قبل ثلاث سنوات وهو يصطاد السمك قبالة شاطئ لشبونة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا مملوكاً لمجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير غونزالو ديل بالي، من مدينة مريلة⁽²⁹⁾، عمره 25 سنة، وهو جندي من الفرقة العسكرية التي جاءت لنجدة الجنود المحاصرين في المعمورة، ومنذ خمس سنوات وهو أسير في قسبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دوستو، عمره 26 سنة، من مدينة مالقة، وهو جندي تم أسره عندما هُزمت القوات الإسبانية التي جاءت لإتقاذ الجنود المحاصرين في المعمورة أمام المرابطين المسلمين⁽³⁰⁾، ومنذ خمس سنوات وهو أسير في قسبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

28 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة قرطبة.

29 مدينة إسبانية تقع في أقصى جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

30 حاصر المجاهدون بقيادة العياشي المعمورة سنة 1628 وتمكنوا من السيطرة عليها فترة وجيزة بعد إلحاقهم الهزيمة بالقوات التي أرسلت من إسبانيا لإتقاذ المحاصرين، لكن سرعان ما تم إرسال قوات جديدة وصلت إلى المنطقة على متن 35 سفينة انطلقت من مدينة قادس. للتوسع في موضوع الوجود الإسباني في المعمورة، انظر: Antonio Torrecillas Velasco, *Dos civilizaciones en conflicto: España en el África musulmana, historia de una guerra de 400 años (1497-1927)*, (Valladolid: Quirón Ediciones, 2006).

تم تحرير خوان بيدرو رودال، فتى عمره 16 سنة، من بلدة كانغاس في جليقية، أسره القرصان علي الرايس قبل شهر وهو يصطاد السمك قبالة شاطئ جزيرة بايونة⁽³¹⁾، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك إبراهيم ميرينو الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير دومينغو هيريرا، الذي خدم الملك أكثر من ثلاثين سنة في بقاع متعددة من المملكة، والذي يقيم إقامة دائمة في ميناء سانتا مارية، حيث مقر فرقته العسكرية، وهو يبلغ من العمر حاليًا 60 سنة. أُسر قبالة شاطئ المعمورة عندما قدم رفقة فرقته العسكرية لنجدة الجنود المحاصرين، لكنهم هُزموا أمام المجاهدين المسلمين، وقد قضى خمس سنوات أسيرًا في قسبة سلا في ملك علي ألغواسيل الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1000 ريال.

تم تحرير الرقيب خوان سوسا، من مدينة أورينسي⁽³²⁾، عمره 40 سنة. أُسر قبل خمس سنوات قبالة شاطئ المعمورة، عندما قدم رفقة فرقته العسكرية لنجدة الجنود المحاصرين لكنهم هُزموا أمام المجاهدين المسلمين، وقد كان حينها رقيبًا في كتيبة دون خوان بلتاثار، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في ملك علي كايس الذي اتفق معه الأب المكلف على فدية قدرها 2120 ريالًا.

أنطونيو ديل تورال، عمره 54 سنة، من غرناطة. أسره قبل خمسة أشهر القرصان التركي المعروف باسم أحمد لولا قبالة جبل طارق، وهو مسافر عبر البحر إلى المعمورة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي فيشي الذي اتفق معه الأب المكلف بالافتداء على فدية قدرها 1500 ريال.

خوان ديل تورال، طفل عمره 10 سنوات، من غرناطة، وهو ابن الأسير المشار إليه سابقًا، كان رفقة والده عندما أُسر قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الشخص نفسه الذي يملك والده، والذي اتفق معه الأب المكلف بعملية التحرير على فدية قدرها 2500 ريال.

خوان مارتينيز، من ميناء سانتا مارية، عمره 50 سنة. أُسر قبل سنتين قبالة شاطئ قادس⁽³³⁾ وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد لويس بيريز، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 570 ريالًا.

تم تحرير ديبغو سيرانو، من بلدة سان كليمنتيني⁽³⁴⁾، عمره 55 سنة. أُسر قبل خمس سنوات في شاطئ المعمورة، عندما هُزمت فرقته العسكرية التي جاءت لإغاثة الجنود الإسبان المحاصرين في المعمورة أمام المجاهدين المسلمين، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد ميغيل بيريز، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1840 ريالًا.

فرانسيسكو دورادو، طفل من بلدة فيغو في جليقية، عمره 10 سنوات ونصف. أُسر في جزيرة بايونة وهو يصطاد السمك مع والده، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك القبطان سيرون، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 570 ريالًا.

تم تحرير خوان راميريز ديل بويرتو، من منطقة سان خوان ديل بويرتو، التابعة لكونتية نيبيلة، عمره 70 سنة. أسره قرصان تونسي في شاطئ أيامونتي قبل سنة ونصف، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك عبد الله لا راشي، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1120 ريالًا.

31 جزيرة صغيرة في أقصى شمال غرب إسبانيا.

32 مدينة إسبانية تقع في شمال غرب إسبانيا.

33 مدينة إسبانية تقع في جنوب غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي.

34 بلدة تقع في وسط إسبانيا قرب مدينة مدريد.

أنطونيو لورينزو، من بلدة بونتيبيديرا، عمره 70 سنة، أسره المرتد⁽³⁵⁾ تشا فاريز من جزيرة بايونة قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الحاكم والقبطان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

خوان كونترين، من منطقة موخيا في جليقية، عمره 52 سنة. أسره المرتد تشا فاريز وهو يتجول في شاطئ جزيرة بايونة قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الحاكم والقبطان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دي لا إغليسيا، من منطقة ساشينشو في جليقية، وهو فتى عمره 13 سنة. أسره المرتد تشا فاريز قبل خمسة أشهر من رأس فينيوستيرا وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الحاكم والقبطان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير غاسبار أنتونيز، من منطقة لاس بروئاس قرب قصر كنيريس⁽³⁶⁾، عمره 50 سنة. أسر بعد هزيمة جنود جلالته الملك في المعمورة قبل خمس سنوات، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي ميلادو، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال، ثلثها فضة وثلثاها الآخرا حزم من الصوف وأقمشة وأغطية ومنسوجات أخرى، تُؤدى كلها في العرائش.

تم تحرير غونزالو ديليبيا، من بلدة سان خوان ديل بويرتو، عمره 46 سنة. أسره قبل سنتين القرصان علي الرايس الذي كان يقود عددًا من المراكب القرصانية، من شاطئ أياموتتي⁽³⁷⁾، وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك سيدي موسى التونسي، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دي أبيليس، من فيغو في جليقية، عمره 17 سنة. أسره القرصان علي الرايس قبل ثلاث سنوات وهو يصطاد السمك في شاطئ جزيرة بايونة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي موسى الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير بيدرو كاسيو من مدينة إستجة، عمره 25 سنة. أسر قبل خمس سنوات بعد هزيمة جنود جلالته الملك الذين جاؤوا لنجدة الفرقة العسكرية الإسبانية التي كانت محاصرة في المعمورة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد هيزوت الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2720 ريالاً.

تم تحرير الطفل البرتغالي أنطونيو رودريغيز، عمره 11 سنة. أسره القرصان بوكاروبا من جزيرة بايونة، قبل سنة ونصف، وهو يصطاد السمك مع والده، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك شعبان الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير برتولومي دي لامييز من بورتو نوفو في جليقية، عمره 50 سنة. أسره القرصان ماريهيج قبل سنة وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الحاكم أحمد بينتو الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على تحريره.

35 وصف يطلق على المسيحيين الأوروبيين الذين تخلّوا عن ديانتهم واستقروا في أحد البلدان الإسلامية.

36 مدينة إسبانية تقع ضمن إقليم إشتريادورا.

37 مدينة إسبانية تقع في جنوب غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي قرب الحدود البرتغالية.

تم تحرير دومينغو سانتياغو من بويرتو دي مارين، عمره 70 سنة. أسره القرصان التركي المدعو طُرَيْق قبل شهرين، وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك الحاكم أحمد بينتو الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1600 ريال.

تم تحرير فرانسيسكو سانتياغو، عمره 15 سنة، وهو ابن الأسير المذكور سابقًا. أسره القرصان نفسه، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد بينتو الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير دومينغو أوستا، من سانتياغو ديل كاريل في جليقية، عمره 60 سنة. أسره المرتد مورينو قبل 8 أشهر وهو يصطاد في رأس فيني بوسيترا، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد لا تارو الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1200 ريال.

تم تحرير خوان دي برافو، طفل عمره 9 سنوات، من موخিকা في جليقية. أسره قبل خمسة أشهر القرصان المرتد خوريكي وهو برفقة عمه متوجهًا إلى شاطئ لا كورونيا للصيد، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك المعلم علي الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2500 ريال.

تم تحرير دومينغو مارتينيز، عمره 80 سنة، من بونتي فيدرا⁽³⁸⁾، الذي أُسر قبل ست سنوات في المنطقة الحدودية بين جليقية والبرتغال وهو يصطاد، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي لونا الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1000 ريال.

تم تحرير خوان بيريز من سانتياغو في جليقية، عمره 50 سنة، وهو جندي أُسر قبل خمس سنوات عندما هُزمت القوات الإسبانية التي جاءت لتحرير الجنود المحاصرين في المعمورة أمام المجاهدين المسلمين، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك علي غالان الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1846 ريالًا نصفها فضة، ونصفها الآخر تبغ برازيلي.

تم تحرير كاتالينا ألونسو، من بينيش⁽³⁹⁾ في البرتغال، عمرها 24 سنة. أسرها القرصان الجزائري المعروف باسم علي غوكا الرايس من منزل عمته برأس سان بيسينتي⁽⁴⁰⁾ قبل سنتين، ومنذ ذلك الحين وهي أسيرة في قسبة سلا في ملك القبطان ثيرون الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1900 ريال.

تم تحرير غريغوريو غونزاليس، من ميناء سانتا أوفاميا في جليقية، عمره 25 سنة. أسره القرصان الجزائري المدعو طُرَيْق قبل أربعة أشهر وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قسبة سلا في ملك أحمد الرايس الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1400 ريال.

تم تحرير خوان دي لا رومييد، من ليزا التابعة لمقاطعة فونتي تيرايبيا⁽⁴¹⁾، عمره 34 سنة. أسره القرصان الجزائري المرتد المدعو أريشيف قبل سنتين وهو عائد من الأراضي الهندية على متن سفينة من سفن جلالة الملك، التي يشتغل فيها بحارًا، ومنذ ذلك الحين وهو أسير عند ذلك المرتد الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2160 ريالًا.

38 مدينة إسبانية تقع في الشمال الغربي على ساحل المحيط الأطلسي.

39 مدينة برتغالية تقع في وسط البلاد على ساحل المحيط الأطلسي قرب العاصمة لشبونة.

40 بلدة إسبانية ساحلية تقع في أقصى الشمال على ساحل خليج غاسكوني، وتتبع إقليم كنتبريا.

41 مدينة إسبانية تقع في أقصى الشمال على ساحل خليج غاسكوني، تحدها مدينة هندي الفرنسية.

تم تحرير بيدرو ديلغادو، من كرمونة، عمره 37 سنة، فارس من الجنود الذين هُزموا في العمورة قبل خمس سنوات، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في ملك علي ويخيل الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2822 ريالاً.

[توجه نحو طنجة في العرائش]

وفي 30 أيلول / سبتمبر 1632، قام الأب سبستيان دي لا مادري دي ديبوس، المكلف بعملية التحرير بعد انتهاء مهمته، بزيارة عدد من منازل المسلمين الذين يملكون أسرى مسيحيين، كما زار سجون القصبة من أجل الحديث مع عدد من الأسرى، فواساهم ووعظهم ونصحهم، كما طمأنهم بأنه سوف يسعى لتحريرهم في أقرب الآجال.

بعد ذلك حضر لوداعه أحد حكام القصبة، المدعو علي ميسا، في حين أن الحاكم الثاني لم يستطع الحضور بسبب حالته الصحية، كما جاء أيضاً عدد من أعضاء الديوان الذين رافقوه إلى الميناء حيث كانت ترسو الكرافيلا⁽⁴²⁾، إضافة إلى سفينته التي جاء بها من العرائش فركب كل الأسرى المحررين، إضافة إلى الأب سبستيان، وأنا علي غونزاليس المكلف بالتوثيق، وعدد من مسلمي قصبة سلا ليستلموا المبالغ المتفق عليها.

إن عدد من كانوا على متن السفينة هو 53، رغم أن هذا التقييد لا يضم سوى أسماء 51 من الأسرى المحررين، إذ أضيف إليهم اثنان آخران؛ هما خوان دي كابريرا وكتالينا ألونسو اللذان دفع الأب سبستيان فديتيهما خلال زيارته الأولى للقصبة.

وفي اليوم والشهر نفسيهما، أبحرت السفينتان بين الساعة التاسعة والعاشر ليلاً، خوفاً من المجاهدين، كما أبلغنا القبطان والبحارة. وبعد أن غادرنا الميناء في طقس جميل وأصبحنا قبالة ساحل العمورة، فاجأتنا عاصفة هوجاء تصاحبها أمطار غزيرة، ما تسبب في تسرب المياه إلى داخل السفينة، وقد أبحرنا طوال اليوم التالي في الظروف نفسها وصرنا لا نعرف أين نحن.

لقد تبللنا جميعاً وتضررت الأشرعة، ولم نعد نرى السفينة الثانية، وعند الفجر وجدت الأب سبستيان مبللاً وفي حالة مزرية، وفي ما بعد عرفت أننا قد وصلنا إلى طنجة التي سبق لي أن زرتها، فكان يجب علينا أن نحصل على إذن لدخولها، لكن الاقتراب من الشاطئ كان صعباً وخطيراً بسبب انكسار الصاري، وتمزق الأشرعة، فأرسل لنا دون فرناندو ماسكاريناس مركباً⁽⁴³⁾، وتم إخلاء كل ركاب السفينة، ومن طنجة كان علينا البحث عن السفينة المفقودة، وبعد أربعة أيام من نزولنا في طنجة، بلغتنا أخبار مفادها أن تلك السفينة تمكنت من الوصول إلى العرائش.

وفي 21 من الشهر نفسه، تم جمع الأسرى المحررين، وغادرنا طنجة في سفينتين إحداهما هي الكرافيلا التي جئنا بها من سلا وقصدنا العرائش ليتم تسليم المبالغ المتفق عليها فديةً للأسرى المحررين، ووصلنا إلى العرائش في 22 من الشهر نفسه.



42 سفينة شراعية صغيرة ذات أشرعة مثلثة طورها البرتغاليون خلال القرن الخامس عشر.

43 عسكري برتغالي معروف، كان آنذاك قائداً للحامية العسكرية بطنجة، وتولى فيما بعد منصب حاكم البرازيل. كانت مدينة طنجة آنذاك محتلة من طرف البرتغاليين.

References

المراجع

العربية

• وايسنر، جيروم. "المغرب وقراصنته: المغاربة في القرن 17". *مجلة البحث العلمي*. العددان 29-30 (1979).

الأجنبية

- Boutaleb, Brahim et al. *Histoire du Maroc*. Paris: Hatier, 1967.
- Velasco, Antonio Torrecillas. *Dos civilizaciones en conflicto: España en el África musulmana, historia de una guerra de 400 años (1497-1927)*. Valladolid: Quirón Ediciones, 2006.